

# القاضي إياس

بقلم الشيخ أحمد بن مبارك الحارثي\*

اسمه ونسبه

إياس بن معاوية بن قرّة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن دريد بن  
أوس بن سواه بن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن  
عثمان بن عمرو بن أد بن طباخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان<sup>(١)</sup>

\* أحمد بن مبارك الحارثي كاتب عدل في كتابة عرعر، درس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
وتخرج فيها عام ١٤١٨هـ ثم عين كاتب عدل بمدينة عرعر.

١ - طبقات خليفة ٢١٢، والمعارف لابن قتيبة ٢٦٤، حلية الأولياء ٣/١٢٣، وفيات الأعيان ١/٤٦٦، ميزان  
الاعتدال ١/٢٨٣ البداية ٥/٢٧٧. شذرات الذهب ١/١٦٠ تهذيب ابن عساكر ٣/١٧٨ - ١٨٨، أخبار  
القضاة ٣/٣١٢ - ٣٧٤.

وذكر غير ذلك<sup>(١)</sup> فهو يضرب بنسبه في أوسط القبائل العدنانية .

## مولده ونشأته وطلبه العلم

ولد سنة ٤٦ هـ ونشأ في بيت والده الذي هو من كبار التابعين وجده الصحابي قرة بن إياس ، وله صحبة قال البخاري وابن السكن له صحبة روى عنه ابنه معاوية<sup>(٢)</sup> قال : ابن أبي حاتم ويقال قرة بن الأغر بن رباب وذكره ابن سعد في طبقة من شهداء الخندق ، وقال أبو عمر<sup>(٣)</sup> قتل في حرب الأزارقة في زمن معاوية وأرخه خليفة<sup>(٤)</sup> ٦٤ هـ ووالد القاضي إياس معاوية بن قرة المزني البصري ثقة عالم من الثالثة مات سنة ثلاث عشرة ومئة وهو ابن ست وسبعين سنة<sup>(٥)</sup> .

## مشايخه وتلاميذه

وقد تتلمذ إياس على أئمة كبار من أبرزهم :

١ - أنس بن مالك .

الصحابي الجليل ابن النظر الإمام المفتي المقرئ المحدث رواية الإسلام ،

١ - الطبقات الكبرى ٧ / ١٧٥ والمعارف لابن قتيبة ٢٦٤ .

٢ - الإصابة ٣ / ٢٣٢ .

٣ - الاستيعاب ٣ / ٣٤٢ .

٤ - طبقات خليفة ٣٧ .

٥ - نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٩٤ .

أبو حمزة الأنصاري الخزرجي المدني خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء وتلميذه وآخر أصحابه مات في المدينة سنة ٩٣ هـ وعمره ٦٣ سنة. (١)

٢- سعيد بن المسيب .

ابن حزن الإمام العلم أبو محمد القرشي عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه ولد لستين مضتاً من خلافة عمر رضي الله عنه وكان ممن برز في العلم والعمل ، وفاته سنة ٩٤ هـ. (٢)

٣- الحسن البصري :

هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، نشأ الحسن بوادي القرى ، وحضر الجمعة مع عثمان وسمعه يخطب ، وشهد الدار وله يومئذ ١٤ سنة وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، توفي سنة ١١٠ هـ. (٣)

٤- سعيد بن جبير :

ابن هشام الإمام الحافظ المفسر الشهيد أبو محمد الأسد الوالي مولاهم الكوفي أحد الأعلام قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ. (٤)

٥- نافع :

الإمام المفتي الثبت عالم المدينة أبو عبدالله القرشي ، ثم العدوي العمري مولى ابن عمر وراويته ، وفاته سنة ١١٧ هـ. (٥)

١ - نفس المصدر السابق ١/٣٩٩.

٢ - نفس المصدر السابق ١/٤٨٢.

٣ - نفس المصدر السابق ٢/٥٥٩.

٤ - نفس المصدر السابق ٢/٥٠٥.

٥ - نفس المصدر السابق ٢/٥٨٤.

٦- أبو مجلز :

لاحق بن حميد بن سعيد بن خالد بن كثير بن حُبَيْش بن عبدالله بن سدوس مات في ولاية ابن هبيرة سنة ١٠٦هـ. (١)

فلا غرابة أن يكون إياس فقيهاً وصالحاً للقضاء والفتيا، وهو الإمام الذي تتلمذ على أنس بن مالك وابن المسيب وابن جبير ونافع والحسن، فهؤلاء هم أئمة زمانهم وعلماء وقتهم وحسبك من إمام تربي على يد صحابي وثلة من جلة التابعين وأكابرهم.

وأما تلاميذه :

من الطبيعي جداً أن إياساً لما تلقى عن علماء كبار - كالذين ذكرناهم سابقاً - أن تهفو أفئدة طلاب العلم للأخذ عنه والطلب على يديه، وذلك شرف عظيم. ومن أبرز تلاميذه :

١- خالد الحذاء مهران :

الإمام الحافظ الثقة أبو المنازل البصري المشهور بالحذاء أحد الأعلام، رأى أنس بن مالك، وتوفي سنة ١٤١هـ. (٢)

٢- شعبة :

ابن الحجاج بن الورد، الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث أبو بسطام الأزدي العتكي، مولاهم الواسطي عالم أهل البصرة وشيخها، وفاته سنة ١٦٠هـ. (٣)

١- طبقات خليفة ٢٠٩.

٢- نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٤٠.

٣- نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٩٢.

٣- حماد بن سلامة :

ابن دينار الإمام القدوة، شيخ الإسلام أبو سلمة البصري النحوي، البراز الخبرقي البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حميد الطويل، وتوفي سنة ١٦٧ هـ. (١)

٤- حميد بن أبي حميد :

الطويل الإمام الحافظ أبو عبيدة البصري مولى طلحة الطلحات، ويقال مولى سلمى، وقيل غير ذلك. وفي اسم أبيه أقوال أشهرها تيرويه، وقيل ثير، ولد سنة ٦٨ هـ عام موت ابن عباس، ومات سنة ١٤١ هـ. (٢)

### نجاته وذكاؤه

الذكاء نعمة من الله عز وجل يهبها من يشاء من عباده، وقد مُنح إياس قدراً كبيراً من الذكاء حتى صار يضرب المثل بذكائه وعقله وسؤدده حتى قال الشاعر أبو تمام ضارباً المثل بذكائه :

إقدام عمرو في سماحة حاتم      في حلم أحنف في ذكاء إياس  
بدأت علامات الذكاء والنجاة في إياس منذ صغره، بل منذ ولادته حيث كان يقول: إني لأذكر الليلة التي ولدت فيها، وقد وضعت أمي على رأسي إجانة، وقال المدائني: قال إياس لأمه: ما شيء سمعته وأنا صغير وله جلبية

١ - نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء ٧١٤/٢.

٢ - سير أعلام النبلاء ١٦٣/٦.

شديدة؟ قالت : ذلك يا بني طست سقطت من فوق الدار إلى أسفل ففزعت فولدتك تلك الساعة. (١)

وظهر ذلك أكثر في شبابه ، حيث تحاكم إياس - وهو صبي شاب - وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تساوه في الكلام ، فقال إياس : إن كان كبيراً فالحق أكبر منه ، فقال له القاضي : اسكت ، فقال : ومن يتكلم بحجتي إذا سكت؟ فقال له القاضي : ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم ، فقال إياس : أشهد أن لا إله إلا الله فقال القاضي : ما أظنك إلا ظالمًا له ، فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي ، فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره فقال : اقض حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس. (٢)

قال بعضهم عن إياس قال : كنت في الكتاب وأنا صبي فجعل أولاد النصارى يضحكون من المسلمين ويقولون : إنهم يزعمون ألا فضلة لطعام أهل الجنة ، فقلت للفقير وكان نصرانياً - أأست تزعم أن في الطعام ما يتصرف في غذاء البدن؟ قال : بلى ، قلت : فما ينكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم؟ فقال له معلمه : ما أنت إلا شيطان. (٣)

قال ابن كثير - رحمه الله - معلقاً على قول إياس قال : وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورد به الحديث الصحيح في أهل الجنة أن طعامهم ينصرف

١ - تهذيب ابن عساكر ٣/١٧٩ ، البداية ٥/٢٧٧ .

٢ - تهذيب ابن عساكر ٣/١٧٩ ، البداية ٥/٢٧٧ .

٣ - تهذيب ابن عساكر ٣/١٧٩ ، البداية ٥/٢٧٧ .

جشاء وعرقاً كالمسك فإذا البطن خاصر . . عن جابر رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يتغوطون ولا يتمخطون » قالوا : فما بال الطعام قال : « جشاء<sup>(١)</sup> ورشح كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس » .<sup>(٢)</sup>

دخل عليه يوماً نسوة فقال : أما واحدة فمرضع والأخرى بكر والثالثة ثيب ، فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ فقال : أما المرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها ، وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فلما دخلت نظرت ورمت بعينها .<sup>(٣)</sup>

### أهليته للقضاء

بلغ إياس مبلغاً عظيماً من الذكاء وسرعة البديهة وحضور الذهن والشجاعة والجرأة والعلم والعقل والفراسة والحكمة ومن عرف بهذه الصفات فهو أهل للقضاء ، ذلك أن القضاء حل لإشكالات بين الناس وفض للخصومات والمنازعات ، وهذا يحتاج إلى قدر من الذكاء والنباهة وحضور الذهن ، وكان إياس على ما نقل من أخباره متصفاً بتلك الصفات ، ولذلك صار أهلاً للقضاء ، ناهيك عن علمه الذي أخذه عن صحابي وعدد من أكابر التابعين وعلمائهم .

١ - جشاء: صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع .

٢ - أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها ١٨ / ٢٨٣٥ .

٣ - تهذيب ابن عساکر ٣ / ١٧٨ - ١٨٨ .

## توليته للقضاء

كان إياس يعيش في دولة الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز، وهو من عرف بعدله وورعه وتقواه وحرصه على الرعية، مما يجعله لا يولي الولايات ولا يختار للقضاء إلا من كان أهلاً لذلك، وهذا أمر معروف عن عمر - رحمه الله - ولقد نفرس عمر بن عبد العزيز في إياس بن معاوية أهليته للقضاء، فما كان منه إلا أن اختاره مع آخر ليتولى أحدهما القضاء، وذلك في حادثة ملخصها ما يلي: بعث الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز كتاباً إلى عدي بن أرطاه أن أجمع ناساً من قبلك فشاورهم في إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشي واستقض أحدهما، فجمع فقيهي المصر الحسن وابن سيرين وأناساً، وأرسلا خلف إياس وكان لا يأتيهما فأتى هو والقاسم فحلف القاسم أن إياساً أعلم منه بالقضاء وأصلح له منه فولاه عدي، وفي لفظ أن القاسم قال: لا تسألوا عن إياس فوالله الذي لا إله إلا هو أن إياساً لأفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء، فإن كنت ممن يصدق قولي وليته، وإن كنت ممن يكذب قولي فلا يحل لك أن توليني وأنا كذاب، فقال إياس لعدي: إنك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فأفتدى نفسه من أن تقذفه في النار يمين حلفها كذب فيها فيستغفر الله عز وجل وينجو مما يخاف فقال عدي: أما إذا فطنت لهذا فإنني أوليك فاستقضاه. (١)

١ - تهذيب ابن عساكر ١٨٧، البداية ٥/ ٢٧٧، أخبار القضاء ٣/ ٣١٢.



## نماذج من أقضيته

اشتهر إياس - رحمه الله - بسرعة قضاؤه، وبتة في الخصومات، وذلك سببه ما أولاه الله تعالى من نعمة الذكاء وسرعة البديهة وحضور الذهن، مما جعله سريعاً في أقضيته، ويكفي في ذلك أنه إبان توليته للقضاء قضى في سبعين قضية. ذكر ابن عساكر في تاريخه أنه لما ولي إياس القضاء أتى إلى المسجد فصلى ركعتين، ثم قال للحرس: قدم أصحاب الشكايات فما قام حتى قضى في سبعين قضية<sup>(١)</sup> وليس معنى سرعته في أقضيته أن يفصل في القضية كيفما اتفق مع هواه، أو بوهم أو بظن مرجوح، كلا، بل كان لا يقضي إلا بيقين أو ظن راجح، فلم تكن إذاً سرعة قضاؤه بسبب عجلة غير محمودة ولكنها نابعة من ذهن متوقد، وعلم حاضر، وسرعة بديهة، وقوة استحضر ولا أدل على ذلك من أن من لاحظوا عليه سرعة أقضيته قالوا له: إنك تعجل بالقضاء، فقال للقائل: كم لكفك من أصابع؟ فقال: خمسة، فقال له: عجلت في الجواب، فقال: لم يعجل من استيقن علماً فقال له إياس: هذا جوابي<sup>(٢)</sup>.

## نماذج من أقضيته

عن أيوب السخستاني: أن امرأة باعت لزوجها داراً وهو غائب، فلما قدم أبي أن يجيز البيعة، فخاصمته فيها إلى إياس بن معاوية، فجعل المشتري يقول:

١ - ٢ - تهذيب ابن عساكر ١٨٧، البداية ٥/ ٢٧٧، أخبار القضاء ٣/ ٣١٢.

أصلحك الله أنفقت فيها ألفين، فقال: ألفاك عليّ. فقضى إياس للرجل بداره وأمر بامرأته إلى السجن، فلما رأى صاحب الدار ذلك جوزّ البيع. (١)

قال إبراهيم بن مرزوق: قال جاء رجلان إلى إياس بن معاوية يختصمان في قطيفتين وهو قاض، أحدهما حمراء والأخرى خضراء، فقال أحدهما دخلت الحوض لأغتسل، ووضعت قطيفتي، وجاء هذا فوضع قطيفته بجانب قطيفتي، ثم دخل فاغتسل، فخرج قبلي، فأخذ قطيفتي فمضى بها، ثم خرجت فاتبعته فرعم أنها قطيفته، فقال: لك بيّنه فقال: لا فقال: اتوني بمشط فأتي بمشط فسرح رأس هذا، ورأس هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر فقضى بالحمراء للذي خرج من رأسه صوف أحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه صوف أخضر. (٢)

قال: المدائني وأودع رجل رجلاً كيساً فيه دنانير، فغاب خمس عشرة سنة ثم رجع وقد فتق المودع الكيس من أسفله، فأخذ ما فيه وجعل مكانه دراهم والخاتم على حاله، فنازعه فقال: إياس من كم أودعته؟ قال: من خمس عشرة سنة، فقال: المودع صدق، فأخرج الدراهم، فوجد فيها ما ضرب منذ عشر سنين وخمس سنين، فقال للمودع: أقررت أنه أودعك منه خمس عشرة سنة، وهذا ضرب أحدث مما ذكرت فأقره بوديعة ودفعها إليه. (٣)

١- أخبار القضاة ١/ ٣٣١.

٢- أخبار القضاة ١/ ٣٣٨.

٣- أخبار القضاة ١/ ٣٤٢.

## منزلة قضاء إياس:

مر بك أيها القارئ فيما مضى أن إياساً - رحمه الله - كان متوقفاً على ذهن سريع البديهة حاد الذكاء، وهذه إذا انضمت مع العلم الشرعي أهلت صاحبها للقضاء والفصل في الخصومات، ولذلك كانت أقضية إياس في أغلبها صواباً مستمدة من الكتاب والسنة، وإليك بعض الحوادث في ذلك:

قال أشعث جاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد، إن إياساً رد شهادتي فانطلق الحسن معه فلقي إياساً، فقال: ما حملك على أن رددت شهادة هذا؟ أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله، فقال له الآخر: أيها الشيخ أن الله يقول ﴿مَنْ تَرَضَوْا مِنْ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وأن صاحبك ليس ممن يُرضى من الشهداء. (١)

قال عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت سئل عامر عن شهادة الغلمان فقال هو ذا إياس بن معاوية لا يجيز شهادة الغلمان:

ولو عرضنا هذه القضية على ميزان النقد لتبين ما يلي:

اختلف العلماء في شهادة الصبيان على قولين: القول الأول: ذهب الجمهور إلى عدم قبول شهادة الصبيان، وقبلوا أخبارهم إذا انضمت إليها قرينة.

القول الثاني: ذهب الإمام مالك إلى اعتبارها في جراتهم بشرط أن يضبط أول قولهم قبل أن يتفرقوا.

١ - أخبار القضاة ٣٧١.

واستدل الجمهور بما روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني، قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته الحديث. فقال: إن هذا الحد بين الصغير والكبير وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة. (١)

ومع ما وصل إليه القاضي إياس - رحمه الله - من الذكاء والدهاء وسرعة البديهة وإفحام الخصوم والعلم إلا أنه يبقى بشراً ليس معصوماً من الخطأ فقد يفحمه خصمه، وقد يجتهد في بعض الأحكام ويخطئ فيها، ومن ذلك ما أورده ابن خلكان: قال شهد عنده رجل في بستان فقال له: كم عدد أشجاره؟ فقال له: كم عدد جذوع هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة سنين؟ فقلت: لا أدري وأقررت شهادته. (٢)

هذا من جهة إفحام خصمه له، وأما من جهة خطئه في الحكم فعن قتادة أن إياس بن معاوية أجاز شهادة رجل وامرأتين في الطلاق، وقال: وكتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبدالعزيز بقول الحسن وبقضاء إياس فكتب عمر إلى عدي بن أرطاة: أصاب الحسن وأخطأ إياس. (٣)

قال ابن المنذر أجمع العلماء على القول بظاهر آية الدين، وهو قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ فأجازوا شهادة النساء مع الرجال، وخص الجمهور ذلك بالديون والأموال، وقالوا: لا تجوز شهادتهن في الحدود

١- فتح الباري ٥/ ٣٢٧.

٢- البداية ٥/ ٢٨٠.

٣- أخبار القضاة ١/ ٣٣٠.

والقصاص، واختلفوا في النكاح والطلاق والنسب والولاء، فمنعها الجمهور وأجازها الكوفيون.

قال أبو عبيد: أما اتفاهم على جواز شهادتهن في الأموال فلأية المذكورة وأما اتفاهم على منعها في الحدود والقصاص فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ٤]، وأما اختلافهم في النكاح ونحوه فمن ألحقها بالأموال فذلك لما فيها من المهور والنفقات ونحو ذلك، ومن ألحقها بالحدود فلأنها تكون استحلالاً للفروج وتحريمها قال: وهذا هو المختار، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] ثم سماها حدوداً فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ [الطلاق: ١] والنساء لا يقبلن في الحدود، قال وكيف يشهدون فيما ليس لهم فيه تصرف من عقد ولا حل. (١)

### أخلاقه وصفاته

#### صفاته الخلقية:

قد يغتر بعض الناس بشكل الشخص وصورته، فإذا كان حسن الهيئة جميل المنظر بجلوه ووقروه مع أنه قد يكون أحمق جاهلاً، وقد يزدرون من يرونه ذميم الشكل قبيح المنظر مع أنه يكون صاحب عقل موفور وحكمة بالغة، وهذا يحدث كثيراً، ولذلك نبه النبي ﷺ على عدم الاغترار بالصورة والشكل لأن الله تعالى هو الذي خلق الأشكال، وليس للناس اختيار في أشكالهم، ومن

١ - فتح الباري ٥/٣١٥.

عدله سبحانه وتعالى أنه لا يحاسبهم على أشكالهم وصورهم، وإنما على أعمالهم وما في قلوبهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». (١)

ولذلك فقد يسود من كان قبيح الشكل ذميم الخلقة ولا أدل على ذلك من عطاء، فقد كان - رحمه الله - أسود أعور أفتس أشل أعرج كما نقل ذلك عنه أهل السير، وما إياس إلا من هذا النوع، حيث كان ذميم الخلقة أحمر الوجه طويل الذراعين سريع المشية، ولذلك كان من رآه لا يأبه به، بل يزدريه على شكله، ومن ذلك أنه دخل يوماً مسجد دمشق وفيه حلقة فيها قوم من قريش فحدث من بني أمية رجل بحديث رده إياس، فأغلظ له الأموي، فقام إياس من الحلقة، فقيل للأموي: إن هذا إياس بن معاوية المزني، فقال: لم أعرفه فلما عاد إياس من غد قال الأموي: إنك جالستنا بثياب السوق، وكلمتنا بكلام الأشراف فلم نتحمل لك ولم أكن عرفتك. (٢)

### صفاته الخلقية:

يكثر التعامل بين الناس لأنه يأنس بعضهم ببعض، وما سمي الإنسان إنساناً إلا لأنه يأنس بغيره، ولأجل ما يحصل بين الناس من تبادل مصالح ومنافع

١ - رواه مسلم وابن ماجه.

٢ - تهذيب ابن عساکر ٣/١٧٩، البداية ٥/٢٧٧ - ٢٨١.

وتواصل أكد الإسلام على أهمية الاتصاف بالأخلاق الحسنة والصفات الحميدة في التعامل مع الآخرين؛ كالصدق وعفة النفس والكرم والتواضع وغير ذلك، وكان إياس - رحمه الله تعالى - على حظ وافر وقسط كبير من هذه الأخلاق الحسنة، فقد تميز بصدقه، قال - رحمه الله تعالى - امتحنت خصال الرجال فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه .

وكان يقول: ما أحب أني أكذب كذبة لا يطلع عليها إلا الله . . ما أجمل هاتين العبارتين إذا قرنت بعمل! لأن منزلة الصدق عظيمة ليس في دين الإسلام فقط، بل في جميع الأديان لا لأنه خلق من الأخلاق الحميدة فحسب، بل لأنه أصل الإيمان المقبول عند الله عز وجل، وهو أساس النجاة من عذاب الله وبه يتميز أهل الإيمان الحق من المنافقين الكاذبين، فالمؤمن قد تضعف نفسه ويقع في بعض الخطايا إلا الكذب فإنه لا يقدم عليه المؤمن لأن أمره عظيم وعاقبته وخيمة وحري بأهل الإيمان، بله أهل العلم أن يتصفوا بالصدق ويجانبوا الكذب فإن الكذب من الخصال القبيحة المذمومة، أما نهيه عن المنكر قال: سفيان بن حسين: كنت عند إياس وعنده رجل فتخوفت إن قمت من عنده أن يقع فيّ، فمكثت حتى قام، فلما قام ذكرته بسوء فجعل إياس ينظر في وجهي ولا يقول لي شيئاً حتى فرغت، ثم قال: هل غزوت السند فقلت: لا، فقال: أفغزوت الروم، قلت: لا فقال: قد سلم منك الديلم والسند والهند والروم ولم يسلم منك هذا وإنما هو أخوك فلم يعد سفيان إلى هذا، رحم الله القاضي إياس. <sup>(١)</sup>

١ - تهذيب ابن عساكر ٣ / ١٨١ .

فانظر -أخي القارىء- إلى فقه إياس وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالبرهان والحجة الشرعية، فإنه -رحمه الله- ما عنف على المغتاب ولا طرده من مجلسه وإنما ألقى عليه حجة جعلته يستحيي ويقلع عن منكره.

وما أعظمه من فقه حينما سأله عما قدم للإسلام من جهاد، وما فعله في أعداء الله من نكايه، فلما أجابه بالنفي، سأله سؤالاً استنكارياً دامغاً، وتركه دون إجابة حتى يجيب المغتاب نفسه ويحاسبها على فعلته، فقال: قد سلم منك الديلم والسند والهند والروم ولم يسلم منك هذا وإنما هو أخوك! كأنه يقول له: من غير المعقول أن تهاجم أخاك وتترك أعداء الله تعالى.

ولقد كان هذا التصرف من إياس مؤثراً جداً حتى إن سفيان أقلع عن ذلك، ولم يعد إليه كما ذكرت الرواية، والله لو ألقى هذا السؤال على من يؤذون إخوانهم ويقعون في أعراضهم لأقلعوا عن ذلك إلا من كان مصراً على الكبائر، نسأل الله العافية والعصمة.

### من حكمه وأقواله

تعظم أهمية هذه الأقوال والحكم التي سنتقلها لأنها صدرت من شخص اتصف بالدهاء، وعركته تجارب القضاء، فهي إشارات مفيدة يستفيد منها طلاب العلم.

قال ربيعة: قال لي إياس: كلما بني على غير ورقع فهو هباء، وكل ديانة أسست على غير ورقع فهي هباء.



وصحب إياس رجلاً في سفر فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل : أخبرني عن عيوبي ، قال إياس : سل غيري فإني كنت أراك بعين الرضا يشير إلى قول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليله  
ولكن عين السخط تبدي المساويا  
وقيل لإياس - رحمه الله تعالى - : ما المروءة؟ قال : أما بلدك وحيث تعرف فالتقوى ، وأما حيث لا تعرف فاللباس .<sup>(١)</sup>

وكان يقول : لست بخب والخب لا يخدعني . وكان يقول : لا بد للناس من ثلاثة ، لا بد لهم ممن يؤمن سلبهم ويختار لحكمهم حتى يعتدل الحكم فيهم ، ويقيم لهم الثغور التي بينهم وبين عدوهم ، فإن هذه الأشياء إذا قام بها السلطان احتمل الناس ما سوى ذلك من أثره السلطان وكل ما يكرهون .

وكان يقول : إياك والشاذ من العلم وإن قل فإنه مما يصيب صاحبه الذلة ومنها إياك وما استشعب الناس من الكلام وعليك بما يعرف الناس من القضاء ، ومنها كل من لم يعرف عيبه فهو أحمق فليل له فما عيبك؟ قال : كثرة الكلام ، وكان يقول : ما تدبر أحد قول عاقل إلا وجد فيه بعض ما ينتفع به .

وقال له رجل : علمني القضاء فقال : إنه فهم لا يتعلم ولكن لو قلت : علمني العلم لكان أحسن .<sup>(٢)</sup>

وقيل له حتى متى يتوالد الناس ويموتون؟ فقال : حتى تتكامل العدتان عدة أهل الجنة وعدة أهل النار .

١ - تهذيب ابن عساكر ٣/ ١٨٨ ، وفيات الأعيان ١/ ٤٦٦ .

٢ - تهذيب ابن عساكر ٣/ ١٨٨ .

ومن أقواله : كان أفضلهم عندي - يعني الماضين - أسلمهم صدرأً وأقلهم غيبة .<sup>(١)</sup>

## هروب إياس من القضاء

ذكر وكيع قصة في هروبه من القضاء ملخصها ما يلي :  
أن إياساً كان يرى جواز شهادة النساء في الطلاق كما سبق وبموجب ذلك فإنه حكم في قضية طلاق بشهادة النساء مخالفاً بذلك ما يرى الوالي من عدم قبول شهادة النساء ، فتأمر عليه جماعة من الحساد لما سنحت لهم هذه الفرصة ، ووشوا به الوالي فوافق هوى في نفسه ، فهمّ به الوالي ، ولكن إياساً هرب قبل ذلك .<sup>(٢)</sup>

## وفاته

قال - رحمه الله - رأيت في المنام كأني وأبي على فرسين معاً فلم أسبقه ولم يسبقني وعاش أبي ستاً وسبعين سنة وها أنا فيها فلما كان آخر لياليه قال :  
الليلة استكملت عمري ونام فأصبح ميتاً رحمه الله تعالى .<sup>(٣)</sup>

١ - حلية الأولياء ٣ / ١٢٣ .

٢ - أخبار القضاة ١ / ٣١٤ .

٣ - شذرات الذهب ١ / ١٦٠ .

## ثناء الناس عليه

قال محمد بن سيرين : إنه لفهم إنه لفهم .  
 وكان يقال : يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل فكانوا يرون أن إياس بن  
 معاوية منهم .  
 وقال محمد وابنه سعد والعجلي وابن معين والنسائي ثقة زاد ابن سعد وكان  
 عاقلاً من الرجال فطناً وكان يطلقون على الحسن شيخ البصرة وإياس فتاها .  
 وقال له أبوه : إن الناس يلدون أبناء وأنا ولدت أباً. <sup>(١)</sup>

١ - تهذيب ابن عساكر ٣/ ١٧٩ ، البداية ٥/ ٢٧٧ .

أهم المراجع:

- ١ - فتح الباري.
- ٢ - صحيح مسلم.
- ٣ - سنن ابن ماجة.
- ٤ - سير أعلام النبلاء.
- ٥ - نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء.
- ٦ - البداية والنهاية.
- ٧ - التاريخ الإسلامي للذهبي.
- ٨ - تهذيب تاريخ دمشق.
- ٩ - شذرات الذهب.
- ١٠ - وفيات الأعيان.
- ١١ - الطبقات الكبرى لابن سعد.
- ١٢ - ميزان الاعتدال.
- ١٣ - طبقات خليفة.
- ١٤ - الاستيعاب لابن عبد البر.
- ١٥ - المعارف لابن قتيبة.
- ١٦ - أخبار القضاة لوكيع.
- ١٧ - الحلية لأبي نعيم.
- ١٨ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر